

السمات في المنطق العلوي

بقلم الأستاذ المهندس: أسامة حافظ عبود

إنَّ السَّماتِ الإِيجابِيَّةَ هِيَ بِالطَّبَعِ سِماتٌ كَمالِيَّةٌ أَبداها الرَّبُّ عِنْدَ التَّجَلِّيِّ، وَلَكِنَّها حَقِيقَةٌ لِلماهِياتِ الفَعليَّةِ. فَوَسَمَ الرَّبُّ بِالسَّماتِ الإِيجابِيَّةِ قَبْلَ إِيجادِ المَهاياتِ الفَعليَّةِ فِيهِ شَرِكٌ عَظِيمٌ، لِأَنَّهُ يَتَطَلَّبُ وِجودَ شَرِكاةٍ مَعَهُ أَوْ يَسْتَلزِمُ تَركِيبًا فِي الجَواهِرِ، وَهَذا مُحالٌ. فَكَمّا أَنَّهُ بَعَدَ إِيجادِهِ لِلوِجودِ سُمِّيَ مُوجِدًا، كَذلكَ بَعَدَما أَبدى الإِرادَةَ سُمِّيَ مَرِيدًا، فإِطلاقُ اسمِ (المُرِيدِ) عَلى الرَّبِّ يَحصلُ بَعَدَ التَّجَلِّيِّ كَسِماتِ الإِرادَةِ.

وَلَا يُمكننا الاعتقادُ بأنَّ الرَّبَّ قَبْلَ إِيجادِ المَهاياتِ الفَعليَّةِ مَحدودٌ بِالإِرادَةِ، لِأَنَّ ذلكَ يَسْتَلزِمُ وِجودَ الفَعْلِ الوِجودِيِّ قَبْلَ الإِيجادِ وَهَذا مُحالٌ. فَالسَّماتُ الإِيجابِيَّةُ تَبقى سِماتٍ اقترَنَ وِجودُها بِوِجودِ المَهاياتِ الفَعليَّةِ، إِذْ لَم تَكُن هَذهِ السَّماتُ مَوجودَةً قَبْلَ إِيجادِ المَهاياتِ الفَعليَّةِ، فَكُلُّ ما هُوَ قَبْلَ ذلكَ لَيسَ مُدرَكًا وَلا مَحسوسًا وَلا مَعقولًا، إِنَّمّا الإِدرَاقُ بِالحِسنِ وَالعَقْلِ يَقعُ عَلى التَّجَلِّيِّ بَعَدَ إِيجادِ المَهاياتِ الفَعليَّةِ.

كَمّا أَنَّ الرَّبَّ قَبْلَ إِيجادِ المَهاياتِ الفَعليَّةِ مُنفَرِدٌ عَن سِماتِ الإِرادَةِ لِأَنَّها مِن سَماتِ الأَفعالِ الوِجودِيَّةِ، فَالإِرادَةُ تَقْتَضِي الطَّلِبَ، وَهَذا مُحالٌ لِأَنَّ الرَّبَّ لا شَرِيكَ لَهُ عَلى الإِطلاقِ، لِذلكَ قالَ المُعَلِّمُ الأوَّلُ أرسطوطالِيسُ: (اللَّهُ يَنزَرُهُ عَن الإِرادَةِ، لِأَنَّ الإِرادَةَ تَقْتَضِي الطَّلِبَ، وَاللَّهُ لا يَطَلِبُ).

وَانطلاقًا مِن هَذا يُمكننا أنْ نَقولَ: إِنَّهُ قَبْلَ إِيجادِ المَهاياتِ الفَعليَّةِ لا يَجوزُ إِطلاقُ اسمِ (المُرِيدِ) عَلى الرَّبِّ، فَجَمِيعُ سَماتِ التَّجَلِّيِّ وَجِدَتْ بَعَدَ إِيجادِ المَهاياتِ الفَعليَّةِ لِحَاجَةِ الأَفعالِ، إِذْ إِنَّ الرَّبَّ مُسْتَعَنٌّ أَنْ يَسِمَ جَواهِرَهُ لِجَواهِرِهِ، وَبِالتَّالِيِ فَإِنَّ كُلَّ السَّماتِ سِوَاها كَانَتْ إِيجابِيَّةً أَوْ سَلبِيَّةً أَوْ غَيرِها لَيسَت جَواهِرًا لِلرَّبِّ، لِأَنَّ الرَّبَّ لا يَتَغَيَّرُ وَلا يَتَنقَلُ بَينَ الأَحوالِ، بَلِ السَّماتُ المُتَعَدِّدَةُ تَقْتَضِي التَّغَيَّرَ وَالتَّنقُلَ بَينَ الأَحوالِ لِأَنَّها سِماتٌ وَجودِيَّةٌ مُتَعَدِّدَةٌ تَسْتَلزِمُ التَّعَدُّدَ وَالتَّنوعَ، وَحاشا لِلجَواهِرِ أَنْ يَقعَ تَحْتَ التَّعَدُّدِيَّةِ.

الأستاذ المهندس: أسامة حافظ عبود